

بناء الصورة الذهنية.

يقوم القارئ أثناء عملية القراءة بنشاط أساسي، بفعل بناء الصورة ضمن عملية يسميها أيزر بـ"التركيب السلبي" (la synthèse passive) الذي يتأسس بالضرورة على الصورة، لأن الصورة، حسبه، تُظهر شيئاً لا يتوافق مع الواقع المعطى للأشياء التجريبية، ولا يتوافق مع الشيء المعروف. وإن الطابع البصري لهذه التركيبات السلبية يصاحب فعل القراءة، حيث تقوم الذات القارئة بعملية تمثيل النص، أي تمثيل المعنى الغائب أو المسكوت عنه في النص، وهذا المعنى يبقى مرتبطاً بما يقوله النص، ولا يكون نتاجاً خالصاً لمُخيّلة القارئ⁽¹⁾.

يبدأ فعل تكوين الصورة انطلاقاً من مخططات النص التي تعتبر جوانب من صورة كلية على القارئ أن يعمل على تجميعها، وبتكبيها، فهو يوجد سلسلة تؤدي في النهاية إلى خلق معنى النص. وهذه «الرؤية التصويرية ليست رؤية بصرية بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل هي في الحقيقة محاولة تصور* ما لا يمكن للمرء أن يراه في صورته الفعلية. وتتمثل هذه الصور في حقيقتها في أنها تلقي الضوء على جوانب ما كانت لتظهر من خلال الإدراك الحسي المباشر للشيء. ويتوقف التصور على غياب ما يظهر في الصورة...»⁽²⁾.

ولتوضيح ذلك، يضع "أيزر" مجموعة من الأمثلة منها: "الجبل" الذي لا يستطيع الإنسان بعد مشاهدته أن يتخيّله في وضعه ذاك، حيث إن فعل بناء صورة الجبل يفترض مسبقاً غياب الجبل، والشيء نفسه مع العمل الأدبي، فالجزء غير المكتوب هو الذي يمكننا من تشكيل صورة عن الأشياء. كذلك في مشاهدة فيلم سينمائي، يكون قد قرئ في شكل

¹ - Voir w. Iser, l'acte de lecture, p 257.

* تستخدم كلمة "تصور" باعتبارها أقرب ترجمة للمصطلح الألماني (Vorstellen)، ومعناه استحضار شيء غير متاح، وتفترض غياب الموضوع أو عدمه. أما الإدراك الحسي فلا يستخدم إلا عندما يكون موضوع ما مثلاً. (يراجع، روبرت هولب، نظرية التلقي، ص:

رواية، وسيكون رد الفعل التلقائي هو الإحباط الكلي، لأن الشخصيات لا تستطيع حمل الصورة التي صنعها القارئ أثناء القراءة وهي « اللحظة التي يتم فيها تضيق الإمكانيات إلى صورة واحدة كاملة وثابتة فإن الخيال ينطفئ... وإن البطل في الرواية يجب تكوين صورة عنه، فهو لا يمكن أن يُرى، وبناء على ذلك يتعيّن على القارئ أن يستخدم مع الرواية خياله لتركيب المعلومات المقدمة إليه، وبذلك يكون إدراكه غنياً وأكثر خصوصية في وقت واحد. أما مع الفيلم فإن القارئ يقتصر على الإدراك الحسي المادي، ونتيجة لذلك، ومهما يكن الشيء الذي يتذكره عن العالم الذي كوّن صورته، فإنه يتلاشى بقسوة»⁽³⁾.

يتبيّن من خلال الأمثلة الفرق بين الصورة البصرية في الفيلم، والصورة التي تشكلها اللغة الأدبية، حيث يختلف إدراك الموضوع من حالة الإدراك المباشر إلى حالة الإدراك غير المباشر، لأن الصورة الأدبية تكون دائماً غير محددة تحديداً كافياً للإدراك. وهذا ما يجعلها مصدراً للإثارة لأنها تحوّل عن عالمه الواقعي وتضعه موضع الأخذ والرد بين عالم النص وعالم الحقيقة» فالنص لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة ونهائية، بل هو فضاء دلالي وإمكان تأويلي، ولذا فهو لا يفصل عن قارئه، ولا يتحقق دون مساهمته أيضاً»⁽⁴⁾.

هكذا، فالنص والقارئ مرتبطان معاً، ويندمج أحدهما في الآخر، ومن ثمّ، فمعنى النص الأدبي لا يتحقق إلا في ذات القارئ، وليس له وجود مستقل عنها. مثلما يتكون القارئ نفسه بتكوينه للمعنى، وإدراك البنية الكامنة والعميقة في النص، وهنا يكمن الموضوع
